الدولة الثامنة
المنتقلة من ملوك الافرنج
الى ملوك اليونانيين المنتصرين

من عهد اغسطوس قيصر الى ان أقام طيباريوس قيصر والمدة قريبة من ستمائة سنة كان الملوك على القسطنطينية والبطارقة وجلّ الجند رومبين اعني افرنجاً. غير ان الوزراء والكتّاب والرعايا كافة كانوا يونانيين . ثم صارت المملكة ايضاً يونانية . والسبب في ذلك ان يوسطينيانس الاخير لما ابتُلي بالمرض الشديد ويئس من حياته لم يرَ في اهل بيته وخاصته من يفي بسياسة الملك غير وزيره طيباريوس وهو رجل يوناني فبايعه ووضع له التاج بيده . ومن حينئذٍ صارت مملكة القسطنطينية يونانية . الى ان استعادها الافرنج في سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة للاسكندر وهي سنة ستمائة للهجرة . ثم فتحها اليونانيون في ايامنا سنة الف وخمسمائة وثماني وستين للاسكندر وهي سنة خمس وخمسون [1] وستمائة للهجرة .

(طيباريوس قيصر) ملك اربع سنين. وغزت الفرْس رأس العين فوجّه اليهم طيباريوس كبير بطارقته المسمى موريقي . فلقيهم هناك فهزمهم . ثم لحق طيباريوس موريقي مع اجناده فغزا الفرس وسبى منهم زهاء الف نفس ومضى بهم فأسكنهم جزيرة قبرس . وعرضت في هذه السنة زلزلة عظيمة . وعرض في الصيف امطار كثيرة وبرد شديد وأظلم الجوّ وظهر جراد كثير فأكل عامّة الزروع والعنب والبقول. وفيها عرض

---

١ – خمس وخمسون . والصواب أربع وخمسين .

obeikandl.com

وباء شديد . ووجد أناس يعبدون الاوثان فقتلوا . وفي السنة الرابعة لطيباريوس زوّج ابنته لموريقي عظيم قوّاده وبايع له بالعهد وملّكه وتوفي.

(موريقي قيصر) ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة. وكان في كل سنة يهيئ طعاماً للفقراء والمساكين ستّين مرّة ويقوم هووزوجته من ملكها فيتولّيان خدمتهم واطعامهم واسقاءهم. وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من اهلها زهاء اربعمائة الف نفس . وفي السنة الثامنة لموريقي وثب الفرس على هرمز ملكهم فسملوا عينيه ثم قتلوه وملّكوا عليهم بهرام المرزبان. وكان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بأنوشروان العادل فتنكّر كأنه سائل وشقّ سلطان الفرْس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى موريقي كتاباً نسخته: للاب المبارك والسيِّد المقدّم موريقي ملك الروم من كسرى بن هرمز ابنه السلام . اما بعد فاني أعلم الملك ان بهرام ومن معه من عبيد ابي جهلوا قدرهم ونسوا انهم عبيد وانا مولاهم وكفروا نعم آبائي لديهم فاعتدوا عليّ وأرادوا قتلي . فهممت ان افزع الى مثلك فأعتصم بفضلك واكون خاضعاً لك لانّ الخضوع لملك مثلك وان كان عدوا ايسر من الوقوع في ايدي العبيد المرّدة ولأن يكون موتي على ايدي الملوك أفضل وأقل عاراً من ان يجري على ايدي العبيد. ففزعت اليك ثقةً بفضلك ورجاء ان تترأف على مثلي وتمدني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً ان شاء الله تعالى . فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لجأ اليه وأنجده بعشرين الفاً وسيّر له من الاموال اربعين قنطاراً ذهباً . وكتب اليه كتاباً نسخته: من موريقي عبد ايشوع المسيح الى كسرى ملك الفرس ولدي واخي السلام . اما بعد فقرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرت فيه من أمر العبيد الذين تمرّدوا عليك وكونهم عمطوا أنعُم آبائك وأسلافك عمطاً وخروجهم عليك ودحضهم ايّاك عن ملكك. فداخلني من ذلك أمرٌ حرّكني على الترأف بك وعليك وامدادك بما سألت. فأما ما ذكرت من ان الاستتار تحت جناح ملك عدوّ والاستظلال بكنفه آثر من الوقوع في ايدي العبيد المرّدة والموت على ايدي الملوك افضل من الموت على ايدي العبيد.فانّك اخترت افضل الخصال ورغبت الينا في ذلك. فقد صدقنا قولك وقبلنا كلامك وحقّقنا أملك وأتممنا بغيتك وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك وشكرنا حسن ظنّك بنا ووجّهنا اليك بما سألت من الجيوش والاموال وصيّرتك لي ولداً وكنت لك أباً . فاقبض الاموال مباركاً لك فيها وقُد الجيوش وسِر على بركة الله وعونه.ولا يعترينّك الضجر والهلع بل تشمّر لعدوّك ولا

تقصّر فيما يجب لك اذا تطأطأت من درجتك وانحططت عن مرتبتك . فاني ارجو ان يُظفرك الله بعدوّك ويكبّه تحت موطئ قدميك ويردّ كيده في نحره ويُعيدك الى مرتبتك برجاء الله تعالى. فلما وردَت الجيوش على كسرى وقبض الاموال وتشجّع بقراءة كتاب موريقي سار مع جيوش الروم نحو بهرام فلقيه بين المدائن وواسط . فصارت الهزيمة على بهرام وقُتل اصحابه كلّهم. واستباح كسرى عساكر بهرام ورجع الى مملكته فجلس فيها وبايعه الناس كلهم . ودعا بالروم فأحسن جائزتهم وصرفهم الى صاحبهم . وبعث الى موريقي من الالطاف والاموال اضعاف ما كان أخذ منه. وردّ دارا وميّافارقين الى الروم وبنى هيكلين للنصارى بالمدائن وجعل احدهما باسم السيدة والآخر باسم مار سرجيس الشهيد .

وفي السنة السادسة عشرة لموريقي كان مطر شديد غرقت به مدن كثيرة مع اهلها ودوابها ومواشيها. ولأن موريقي بعد مصالحته للفرس قطع ارزاق جنوده فاجتمع عظماءُ الروم الى مدينة هرقلة وارادوا تمليك فطري اخي موريقي . فهرب منهم ومضى الى قسطنطينية . وهرب ايضاً موريقي الى خلقيذونية . فلحقته الروم فألفوه وعليه خلقان في ذي الفقراء والسؤّال فقتلوه وملّكوا عليهم رجلاً من بطارقتهم يقال له فوقا .

(فوقا قيصر) . ملك ثماني سنين . ولم يكن من بيت الملك . فلما بلغ كسرى بن هرمز قتل موريقي نقض العهد وغزا دارا فافتتحها وافتتح ايضاً آمد وحلب . ثم عطف على قنّسرين ورجع الى الرها. وفي السنة الثامنة لفوقا خرج عليه خارجيّان احدهما هرقل والآخر غريغور بافريقية ووجّها جيوشاً مع ابنيهما وهما هرقل بن هرقل ونقيطا بن غريغور وتقدّما اليهما بقتل فوقا وتعاقدا بينهما ان الملك للسابق الى قسطنطينية اذا قتل فوقا . فركب هرقل البحر وسار نقيطا في البرّ والفى هرقل البحر هادئاً ساكناً فسبق ودخل المدينة وقتل فوقا وملك .

(هرقل قيصر) ملك احدى وثلثين سنة وخمسة اشهر .وفي اول سنة من ملكه ارسل وفداً الى ملك الفرس ليصالحه . فلم يجبه الى ذلك بل غزا انطاكية وفامية وحمص وقيسارية وافتتحها . وفي هذه السنة عرض بالروم جوع شديد حتى أكل الناس الجيَف وجلود البهائم . وقصد نقيطا بن غريغور مدينة الاسكندرية فاستولى عليها . وفي السنة الرابعة لهرقل ملكت العرب وهي سنة تسعمائة وخمس وثلثين للاسكندر [١] . وفي السنة الخامسة لهرقل افتتح الفرس البيت المقدس . وبعد ثلث سنين افتتحوا الاسكندرية ومصر

١ – والصواب تسعمائة وثلث وثلثين . وهكذا ايضاً في س .

ووصلوا الى النوبة وغزوا خلقيذونيا فافتتحوها. وفي السنة العاشرة لهرقل تحرّكت العرب بيثرب . وفي السنة الخامسة عشرة لهرقل غزا الفرس جزيرة رودس فافتتحوها . وأمر كسرى ان يؤخذ رخام الكنائس التي في جميع المدن التي فتحها وتحدر الى المدائن . ولقي فيه الناس جهداً جهيداً . وفي هذه السنة غزا اهل هرقل الفرس فافتتحوا مدينة كسرى وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا . وفي السنة السابعة عشرة لهرقل انكسف نصف جرم الشمس وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها الاّ شيءٌ يسير .

* * *

وفي هذا الزمان كان الحَرث بن كلدة طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس وأخذ الطبّ عن أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية قبل الاسلام وطبّب بأرض فارس وحصّل مالاً. ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف واشتهر وأدرك الاسلام. وكان النبيّ عليه السلام يأمر من كان به علّة ان يأتيه فيستوصفه . وكان الحَرث يقول: من سرّه البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليُقلّ من غشيان النساء. يُريد بخفة الرداء ان لا يكون عليه دَين [1] وقيل مات الحَرث في اول الاسلام ولم يصحّ اسلامه . وفي هذا الزمان كان يُعرف اهرون القسّ الاسكندري. وكنّاشهُ في الطبّ موجود عندنا بالسريانية وهو ثلثون مقالة . وزاد عليها مقالتين أخرَيين .

١ – قال ابن أبي أصيبعة: « سمي الدين رداء لقولهم: هو في عنقي وفي ذمتي .فلما كانت العنق موضع الرداء سمي الدَين رداء » .